جهود المستشرقين في نشر التراث العربي

أ.د باقي محمد

لا شك أن الدراسات الإستشراقي أصبحت لها أهمية قصوى في عالمنا العربي ،وذلك لكونها الأداة المساعدة في استطباق القضايا والمعارف التي تهم الحضارة العربية ،و لعل هذا ما جعل الاهتمام بها يزداد يوما بعد يوم.نظرا لأهميتها في الأوساط النقدية والفكرية العربية و الغربية على حد سواء،وأصبح هذا يظهر بجلاء في كثرة الدراسات و اللقاءات التي تقام هنا و هناك في أغلب الجامعات الغربية والعربية محاولة من خلال هذه اللقاءات ضبط مفهوم الاستشراق وتحديد شروط الاستفادة منه ، وطرح الإشكاليات لقضايا الاستشراق و محاولة الإجابة عن الأسئلة الحساسة حول

العملية لاستشراقية، إلى ذلك من الإشكاليات المصاحبة بهذه الممارسة المعرفية التي تخص القضايا الإستشراقية بمختلف أنواعها وقد ارتأينا حصر هذا المقال المتواضع في الجوانب التي قدم المستشرقون بعض الخدمات الجليلة في نشر تراثنا العربي من خلال أدوات إجرائية غربية المنبت و تطبيقها على تراثنا العربي و حضارته ومساءلة هذا التراث في محاولة لتجلية أبعاده و إبراز خفاياه وما تولد عنه من تفاعل حضاري كان من نتائجه.

تعرف الغرب على حضارتنا و تراثنا ومحاولة نفض الغبار عنه من خلال دراسة المخطوطات العربية و إخراجها إلى حيز الوجود و هذا من خلال قراءة المؤلفات العربية في لغتها الأصلية و محاولة تهذيبها و تنقيحها و ترجمتها إلى لغتهم الأصلية ليستفيد منها أبناء جلدتهم ، وهذا ما نجده مثلا في الاسشتراق الفرنسي الذي أسس مراكز مختلفة للدراسات الاستشراقية و منها "جامعة السويون " في باريس و جامعة (ليون / وجامعة مارسليا و غيرها من المراكز المهمة التي اهتمت بدراسة الحضارة العربية و تراثنا، ونجد كذلك بعض المصنفات الألمانية التي اهتمت بالحضارة العربية والتراث العربي و أعطته المكانة اللائقة به ، وهذا عن طريق ترجمات بعض الآثار العربية إلى اللغة الألمانية و من بين هذه الذين اهتموا بهذه الحضارة نجد المستشرقة (أنا ماري شيمل) التي ألفتت عددا لا يستهان من الكتب و عالجت فيه بعض القضايا التي تهم التصوف و الفكر الإسلامي فهي تحدد منهجها في دراسة الحضارة العربية والفكر الإسلامي حيث تقول "إن طريقي ليس هو طريق التصريح و البيانات و لا هو طريق الإشارات و الزوابع، أو من أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته على مر الزمن و على صم الحجر "[1].و هذا في محاولة منها لتأصيل التراث العربي و إضفاء الصيغة العلمية عليه و هذا من خلال البحث عن الحقيقة

من مصادرها الأصلية، و هكذا أن المستشرقين الألمان قاموا بدراسة علمية و عقلانية لتراثنا العربي و قدموا كما هائلا و متنوعا من الدراسات و الأبحاث النظرية التطبيقية الرصينة لأدبنا و شعرنا و حضارتنا مثلا و قد درسوا الحضارة العربية بنوع من الشك والربا حتى يصلوا إلى الحقيقة التي يبحثون عنها .

"فبمقتضى هذا المنهج شك الباحث في الواقعة التاريخية أو ينفيها إذ اقتضى الأمر من غير أن يقدم دليلا على ما ذهب إليه و يقابل ذلك افتراض وقائع و استنتاجات معينة ، ففي الحالة الأولى يشكك فيها هو أقرب إلى الحق ، بينما يصدق في الحالة الثانية فيما هو أقرب إلى الباطل و بكثر هنا من باستعمال ألفاظ ربما يمكن و لعل و الاحتمال أقرب "[2].

و يمكن أن نؤكد في هذا المجال أن أغلب المستشرقين استخدموا هذا المنهج في أغلب أعماله العلمية و هذا من خلال تناولهم للمخطوطات و المؤلفات العربية، فقد وجدوا ضالتهم في هذه المخطوطات العظيمة و هذا الكم الهائل من هذا التراث العربي سواء كان منشورا أو غير منشور بإعتباره يشكل الرافد المعرفي الوحيد لمسايرة التطورات الحاصلة عند العرب .

من خلال هذه المخطوطات إلى غير ذلك من هذه الدراسات المترجمة و الأصلية إلا دليل على ما تزخر به الثقافة العربية ، و لهذا الغرض خصصوا معاهد و أقسام بدراسة اللغة العربية و حضارتها في بلدتهم لذا تتضافر جهود العالمين بهذه الاقسام من أجل هدف واحد و هو دراسة العربية في مختلف مجالاتها الكثيرة سواء في مجال الدراسة النظرية أو التطبيقية وسواء في ميدان البحث الأكاديمي وميدان الدراسة العلمية "[3]. و من أجل هذا الغرض و ضعوا إستراتجية واضحة و دقيقة لترجمة أغراضهم في نشر التراث العربي و هذا وفق منهجه مرفقة مدروسة فأسسوا المجالات و الجمعيات من بين هذه المجلات نذكر :

-المجلة الشريقية 1847

-مجلة للجمعية الألمانية للدراسات الفلسطينية

-مجلة الآداب الشرقية 1858

-مجلة الإسلام 1920

-مجلة الدراسات السامية 1922

-مجلة إسلاميات 1924

ومن بين الجمعيات التي قاموا بإنشائها نجد

-الجمعية الشرقية الألمانية التي أسسها فلايشر 1845

-الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية

-المجامع العلمية .

-مجلس العلوم الألماني

بالإضافة المجلات العلمية التي اهتمت بالتراث العربي و نشره ،ودراسة حضارة ما أنتجه هذه الأمة من علم و معرفة في مختلف التخصصات في مسارتها الطويلة ،بالإضافة إلى هذا فقد اهتموا بفقه اللغة و اللهجات و المعاجم فقد ألفوا معجمها عربي ألماني على الألفاظ العربية كما ألفوا معاجم حول الألفاظ العربية الفصحى و اللهجات العربية و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمامهم للحرف العربي والحضارة العربية بوجه عام و توظيف المفاهيم الغربية بشكل علمي في دراسة التراث العربي و نشره و من بين هذه الدراسات نشر العديد من المخططات العربية و ترجمتها .

وقد ترجم rechier كتاب (الأدب الصغير) لابن المقفع (أحسن ما سمعت) للثغالبي و ترجم غوستاف فبل عددا من المخطوطات منها : السيرة النبوية لابن هشام قطيع سنة 1864 و كتاب ألف لليلة و ليلة [5] .

وقام فلاسير Flashsior بترجمة عدد لا يستهان منه الكتب العربية القديمة مثلا :

-تفسير القرآن في سبع مجلدات 1843

-تفسير القرآن الكريم للقاضي البيضاوي1846

-وعجائب المخلوقات للقزويني [6]